The Effect of Grammatical Guidance on the Meaning of Abrogated Sentences in Holy Quran : A Syntactico-Semantic Study

Hala Mohammed Martini
hala-martini@hotmail.com
Prof. Abdulkader Asaadi (Ph.D)
alsady@sharjah.ac.ae
University of Sharjah / College of Arts,
Humanities and Social Sciences

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i147.4002

Abstract

The present study examines the significance of the grammatical structures that include the transcribers in the first part of the Holy Qur'an in Surat Al-Baqara, by analyzing the grammatical structures that are mentioned and linking them to the meaning of the Qur'anic context and the general significance of the group of verses contained inSurat Al-Baqara.

To achieve this purpose, the researcher has collected the verses that include transcribers in the first part of the Holy Qur'an, and has worked on analyzing them and clarifying the indications that they are added in the Qur'anic context, examining the non-repetition of the indications in this paper.

This study is divided into two parts: a theoretical part and an analytical application. The theoretical part deals with the abrogates in the Arabic language and seeks to reveal their significance. As for the applied analytical part, it analyzes the linguistic structures in which the abrogates are mentioned in the first part of the Holy Qur'an and shows their significance in the Quranic context.Finally, the conclusion section summarizes the most important findings of the study.

key words: Abrogating letters - abrogating verbs - connotation - grammatical structure.

أثر التوجيه النحوي في دلالة الجمل المنسوخة في الجزء الأول من القرآن الكريم: دراسة نحوية دلاليّة

الباحثة هلا محمد مارتيني
جامعة الشارقة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

أ.د. عبد القادر السعدي
جامعة الشارقة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

(مُلَخَّصُ البَحث)

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دلالة التراكيب النّحويّة المشتملة على النّواسخ في الجزء الأوّل من القرآن الكريم الواقع في سورة البقرة، وذلك من خلال تحليل التراكيب النّحويّة التي وردت فيها وربطها بالمعنى الخاصّ بالسّياق القرآني والدّلالة العامة لمجموعة الآيات الواردة فيها.

وتحقيقًا لهذا الغرض، جمعت الباحثة الآيات المشتملة على النّواسخ في الجزء الأول من القرآن الكريم، وعملت على تحليلها وبيان الدّلالات التي أضافتها في السياق القرآني، مراعية في هذا البحث عدم التكرار للدّلالات، إلّا في حالة التوسّع في الدلالة.

وقد قسّمت هذه الدراسة على قسمين: قسم نظريّ وآخر تطبيقيّ تحليلي، فأمّا القسم النّظريّ فيتناول النّواسخ في اللّغة العربيّة ويسعى إلى الكشف عن دلالتها في الجملة العربية، وأما القسم التطبيقيّ التحليلي فيحلّل التّراكيب اللّغويّة التي وردت فيها النّواسخ في الجزء الأوّل من القرآن الكريم ويبيّن دلالتها في السّياق القرآني، وما أضافته من معانٍ مع معموليها، مستعينة بأقوال المفسّرين واللّغويين على السّواء ، وقامت الباحثة في هذه الدّراسة بدراسة الأفعال النّاسخة أوّلًا ، ثم الحروف النّاسخة ثانيًا ، موجزة أبرز النتائج التي توصلت إليها في نهاية الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الناسخة–الحروف الناسخة–تركيب نحوي – الدلالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله خالق الإنسان، معلّمه البيان، ومنزل القرآن ليكون هدىً للأنام، وصلّى الله وسلّم على المختار رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تؤدّي التّراكيب اللّغويّة في اللّغة مجموعة من الدّلالات، ولاسيّما في القرآن الكريم، إذ تكشف التراكيب اللّغويّة فيه عن المعاني الكليّة والجزئيّة؛ لأنّ نظم القرآن الكريم بأدواته اللّغوية لا يجاريه نظم في الوجود؛ فهو كلام الله –عز وجلّ– الذي يمتاز بالتّعبير عن المعاني الكثيرة بأدقّ الألفاظ وأكثرها إيجازًا وأجملها صياغة، بتناسق فريد بين الدّال والمدلول. وتستوجب هذه الدّقّة الفريدة من الإنسان التّأمّل والتّفكير في نظم القرآن والتّمعّن في تراكيبه اللّغويّة والمعاني الدّالة عليها.

ومراعاةً لهذا الجانب، جاءت هذه الدّراسة في موضوع النّواسخ في الجزء الأوّل من القرآن الكريم، وتكمن أهميّتها في الرّبط بين علمي النّحو والدّلالة، من خلال بيان طريقة توظيف القرآن الكريم للتراكيب النّحويّة للدّلالة على المعاني المختلفة.

وتهدف الدراسة إلى بيان دلالة التراكيب النّحويّة المشتملة على النّواسخ في الجزء الأوّل من القرآن الكريم من خلال تحليل التراكيب النّحويّة التي وردت فيها وربطها بالمعنى الخاصّ بالسّياق القرآني والدّلالة العامة لمجموعة الآيات الواردة فيها.

وتحقيقًا لهذا الغرض، فقد جمعت الآيات المشتملة على النّواسخ في الجزء الأول من القرآن الكريم، وعملت على تحليلها وبيان الدّلالات التي أضافتها في السياق القرآني.

وقسّمت هذه الدراسة على قسمين: نظريّ وآخر تطبيقيّ تحليلي، فأمّا النّظريّ فيتناول النّواسخ في اللّغة العربيّة ويسعى إلى بيان دلالتها، وأما التطبيقيّ التحليلي فيحلّل التّراكيب اللّغويّة التي وردت فيها النّواسخ في الجزء الأوّل من القرآن الكريم في سورة البقرة ويبيّن دلالتها في السّياق القرآني مع تجنّب التّكرار غير المثمر وذلك بدراسة الأفعال النّاسخة أوّلًا ثم الحروف النّاسخة ثانيًا.

وقد استرشدت هذه الدراسة بدراسات أخرى سابقة منها:

١. الطلاق، يحيى خليل (٢٠٠٦). النواسخُ وأثرها التركيبي والدلالي– دراسةٌ في كتابِ إملاءِ ما منَّ بهِ الرحمن في ضوءِ المنهجِ التحويلي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة.

٢. الحمادي، عبدالله حسن: تراكيب نحوية ودلالتها في النصف الثاني من الجزء السابع والعشرين من القرآن الكريم، (أطروحة ماجستير) جامعة الشارقة، دولة الإمارات،٢٠١٨م.

٣. عبدي، ياسمينة: الجملة الاسميّة في سورة البقرة، دراسة نحويّة بلاغيّة، جامعة محمد بوضياف، الجزائر،٢٠١٦م.
٤. الصايل، أحمد عبد الله: "كان" في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، ٢٠١٢.

تمهيد

- **النّواسخ في اللغة العربيّة:**

ترتبط كلمة (النسخ) في اللغة بثلاثة معانٍ أساسية هي: إبطال شيء وإقامة غيره مكانه، ونقل الشيء من مكان إلى آخر، والإزالة، قال ابن فارس اللغوي:"النون والسين والخاء أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه. قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه. وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء".(ابن فارس،١٩٧٩م،٥/٤٢٤).

وقال ابن منظور: "وَنَسَخَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ ينسَخه وَانْتَسَخَهُ: أَزاله بِهِ وأَداله؛ وَالشَّيْءُ يَنْسَخُ الشَّيْءَ نَسْخًا أَي يُزِيلُهُ وَيَكُونُ مَكَانَهُ". (ابن منظور،١٤١٤هـ،٣/٦١).

"وسميت النَّواسخ لذلك بهذا الاسم؛ إذ إنَّها تنسخ المعنى والإعراب فهي تأتي للازمة معنويَّة، لأنَّ الجملة الاسميَّة في العربيَّة تخلو من معنى الزَّمن، وهذا هو المعنى اللُّغوي للنَّواسخ، الوارد في معظم المعاجم العربيَّة" (الطلاق،٢٠٠٦، ٢٤)

أما دلالة كلمة (النواسخ) على (كان وأخواتها) و(ظنّ وأخواتها) و(كاد وأخواتها) و(إنّ وأخواتها) فهي متأخرة، إذ لم يستعملها القدماء حتى القرن السابع الهجري، واكتفوا بتحليل أحكامها في الجملة، (ابن يعيش،٢٠٠١م، ٤/٣٣٥) ويعدّ (ابن مالك) أول من استعمل مصطلح (النواسخ)، قال في ألفيته:

والفعل إن لم يكُ ناسخًا فلا ... تلفيه غالبًا بإن ذي موصلا (ابن مالك، ألفية ابن مالك،٢)

وفسّرها الشُرّاح بأنها الأفعال الدّاخلة على المبتدأ والخبر، والتي تؤدي إلى تغيير حكمهما في الجملة، إلّا أنّ (ابن مالك) لم يجمعها في باب واحد وإنما أفردها في أبواب لاحقة لباب المبتدأ والخبر فاتضح ارتباطها بهما (ابن عقيل،١٩٨٠م،١/٢٦١). والنَّواسخ نوعان، هما: النَّواسخ الفعليَّة وتشمل:(كان وأخواتها، وظنَّ وأخواتها، وأفعال المقاربة)، والنَّواسخ الحرفيَّة وتشمل:(إنَّ وأخواتها والحروف المشبَّهة بـ(ليسَ) و(لا) التي لنفي الجنس (السيوطي،١٩٧٥، ٢/ ٦٣).

وللنّواسخ في اللّغة العربيّة دلالات تضفيها على الجملة، يمكن توضيحها على النحو الآتي:

- الأفعال النّاسخة ودلالاتها

للأفعال النّاسخة مجموعة من الدّلالات تؤدّيها في الجملة، والأفعال النّاسخة في اللّغة العربيّة تنقسم إلى:

أولًا: كان وأخواتها.

كان وأخواتها هي أفعال تدخل على الجملة الاسميّة فترفع المبتدأ ويسمّى اسمها وتنصب الخبر ويسمّى خبرها (ابن يعيش،٢٠٠١م،٣٣٥/٤)، وتسمّى أفعالًا ناقصة؛ لأنها تدل على الزمن فقط(ابن يعيش، ٢٠٠١م،٣٣٥/٤) (ابن الحاجب،٢٠١٠م،٤٨) في حين تدل الأفعال على الحدث والزمن، وأضاف بعض النحويين أنها تسمّى أفعالًا ناقصة؛ لحاجتها إلى الخبر(ابن الحاجب،٢٠١٠م،٤٨). وقد ذكرها سيبويه تحت عنوان: "هذا باب الفعل الذي يتعدَّى اسمَ الفاعل إلى اسمِ المفعول، واسم

الفاعل واسم المفعول فيه لشيءٍ واحدٍ... فمن ثمَّ ذُكر على حدَّته، ولم يذكر مع الأوّل، ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل"، وذكر من النواسخ (كان، يكون، وصار وما دام وليس)، فقال: " وما كان نحوهنَّ من الفعل ممَّا لا يستغني عن الخبر، تقول: (كان عبد اللهِ أخاك) فإنَّما أردتَ أن تخبر عن الأخوَّة وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى" (سيبويه،١٩٨٨م،٤٥/١-٤٦).

ويندرج تحت هذا القسم الأفعال الآتية: كان، صار، ظلَّ، بات، أصبح، أضحى، أمسى، ليس، ما زال، ما برح، ما فتئ، ما انفك، ما دام.

وتنقسم هذه الأفعال من حيث العمل على قسمين:

القسم الأول: ما يعمل في المبتدأ والخبر بلا شرط، وهي: كان، صار، ظلَّ، وبات، أصبح، أضحى، أمسى، ليس.

القسم الثاني: ما يعمل في المبتدأ والخبر بشرط، وهذه الأفعال قسمان:

الأول: أفعال يشترط لعملها أن تسبق بنفي، وهي: ما زال، ما برح، ما فتئ، ما انفك.

الثاني: أفعال يشترط لعملها أن تسبق بـ(ما المصدرية الظرفيّة) وهي: ما دام. (ابن عقيل،١٩٨٠م،٢٦٣/١-٢٦٧).

أما أبرز دلالات هذه الأفعال فهي:

- كان:

نصَّ النُّحاة على أنَّ (كان) تأتي على ثلاثة أقسام من حيث الزيادة والنُّقصان هي: الزَّائدة، والتَّامَّة، والنَّاقصة (ابن عقيل، ١٩٨٠، ١/٢٨٠). وتدل على معنى (الكون)(السّامرائي،٢٠٠٠م،١/٢١٠) وتستعمل تامة وناقصة وزائدة، فإذا استعملت زائدة فإن تزاد لغرضين: التوكيد والدلالة على الزمن:

فالتوكيد، نحو قول الشاعر:

جياد بني أبي بكر تسامى على كان المسومة العراب

فإن (كان) زائدة هنا للتوكيد إذ لا تدل على الزمن (ابن يعيش،٢٠٠١م،٤/٣٤٦)، أما إن استعملت (كان) للدلالة على الزمن، نحو: ما كان أحسن زيدًا، فإنّ(كان) زيدت في أسلوب التعجب؛ للدلالة على الزمن (السامرائي،٢٠٠٠م،٢١٩-٢٢٠).

أمَّا سبب تسميتها بالنَّاقصة فلم يتَّفق النَّحاة على سبب لتسميتها، في حين رفض فريق منهم تلك التسمية، وعلّل من قال بتلك التسمية، بأنَّ تلك الأفعال تحتاج إلى اسمين بعدها احتياجا واحدا، أو هو ممَّا يتم نقصه بالخبر الذي يُشبَّه بمتَمِّمه ومفعوله كما ذكر سيبويه (سيبويه،١٩٨٨م،١/٤٥). في حين يرى المبرّد والفارسيّ وابن جنيّ أنَّ سبب التسمية مرده إلى دلالة تلك الأفعال على الحدث(ابن هشام،١٩٨٥، ٥٧). ذلك أنّ الحدث الفعلي لا يتحقَّق بالأفعال فحسب، بل هو رهين تشابك أنظمة صرفيَّة نحويَّة دلاليَّة تمر به في الملفوظ التَّام.(عاشور،١٩٩١، ٢٨٦)

- صار:

تدل على معنى التحول والانتقال من حال إلى أخرى (ابن يعيش،٢٠٠١م،٤/٣٥٣) (ابن الحاجب، ٢٠١٠م،٤٨) نحو: صار الماء ثلجًا، أي تحول إلى هذه الحالة.

وقد تأتي للدلالة على معنى المجيء والانتقال، نحو قوله تعالى: {أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: ٥٣]، قال ابن يعيش: "وقد تستعمل بمعنى "جاءَ"، فتتعدّى بحرف الجرّ، وتفيد معنى الانتقال أيضًا، كقولك: "صار زيد إلى عمرو"، "كلّ حي صائرٌ للزوال". فهذه ليست داخلة على جملة. ألا تراك لو قُلْتَ: "زيدٌ إلى عمرو" لم يكن كلامًا، وإنما استعمالُها هنا بمعنى "جاء"، كما استعملوا "جاء" بمعنى "صار" في قولهم: "ما جاءت حاجتَك"، أي: ما صارت، ولذلك جاء مصدرُها "المَصِير"، كما قالوا: "المَجِيء". قال الله تعالى: {وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ}"(ابن يعيش،٢٠٠١م،٤/٣٥٣).

– ظلَّ وبات، وأضحى، وأمسى، وأصبح.

تستعمل (ظلَّ) لإفادة الحكم في النّهار وهو اتّصاف المخبر عنه بالخبر نهارًا، أما (بات) فتدل على اتّصاف المخبر عنه بالخبر في اللّيل(ابن عقيل،١٩٨٠م،٢٦٨/١) وقد يخرجان عن هذا الاستعمال فيستعملان استعمال (كان)؛ إذا كان المخبر عنه لا يرتبط بزمن خاص(السّامرائي،٢٠٠٠م،٢٣٦/١) نحو قول الله –عز وجل–:{ظلَّ وجهه مسودًا وهو كظيم}[النحل:٥٨]. ويرى د.فاضل السّامرائيّ أنّ (بات) تستعمل لتخصيص الزمن في اللّيل، أكثر من استعمال (ظلّ) لتخصيص الفعل بالنّهار، إذ وردت كلمة (ظلَّ) في ثمانية مواضع في القرآن الكريم لا تدلّ فيها على زمن النّهار(السّامرائي،٢٠٠٠م،٢٣٦/١)، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم﴾ (النحل: ٥٨).

أما (أضحى) و(أمسى) و(أصبح) فتأتي لإفادة اتّصاف المخبر عنه بالخبر في أزمنتها الدالة عليها، كما تدلّ على معنى الصّيرورة دون تقييدها بزمن، نحو قوله تعالى: {فتبيّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} [الحجرات: ٦] أي: تصيروا نادمين. (السّامرائي،٢٠٠٠م،٢٣٧/١–٢٣٨) (ابن يعيش،٢٠٠١م، ٣٥٦/٤)

– ما زال، وما برح، وما فتئ، وما انفك.

تدل هذه الأفعال على معنى الملازمة والاستمرارية، أي: اتصال الفعل بزمن الإخبار بحسب ما يقتضيه الحال، قال ابن عقيل: "ومعنى (ما زال وأخواتها) ملازَمَةُ الخبرِ المخبرَ عنه على حسب ما يقتضيه الحال"(ابن عقيل،١٩٨٠م،٢٦٨/١)، فهي أفعال منفية تفيد الإثبات والاستمراريّة(السّامرائي،٢٠٠٠م،٢٤٢/١).

– ما دام.

يدل الفعل (ما دام) على البقاء والاستمرارية، قال ابن يعيش:" أمّا (ما دام) من قولك: "ما دام زيدٌ جالسًا"، فليست "ما" في أوّلها حرف نفي على حدّها في "ما زال"، و"ما برح"، إنّما "ما" ها هنا مع الفعل بتأويل المصدر، والمراد به: الزمان". (ابن يعيش،٢٠٠١م،٢٦٥/٤)

– ليس.

تدلّ (ليس) على معنى النّفي، وأشار سيبويه إلى كونها فعلًا ناقصًا بقوله: "هذه الأفعال تستعمل تامَّة ماعدا (ليس)،... فأمَّا(ليس) فإنَّه لا يكون فيها ذلك؛ لأنَّها وضعت موضعا واحداً، ومن ثَمَّ لم تتصرَّف تصرف الفعل الآخر (سيبويه،١٩٨٨م،٤٥/١).. وذكر ابن يعيش أنَّ هذه الأفعال تسمَّى أفعالا ناقصة وأفعال عبارة، فأمَّا كونها أفعالاً فلتصرفها بالماضي والمضارع وغيرهما، وأمَّا كونها ناقصة، فإنَّ الفعل التَّام الحقيقي يدلُّ على معنى وزمان (ابن يعيش، ٨٩/٧)، وذهب جمهور النّحويّين إلى أن (ليس) فعل ماض ناقص لا يتصرَّف بحال (ابن هشام، ١٩٨٠، ١٦٧/١–١٦٨)، إلّا أنّ جاء في القاموس المحيط:

"لَيْسَ: كَلِمَةُ نَفْيٍ، فِعْلٌ ماضٍ أصلُهُ: لَيِسَ، كفرحَ، فَسُكِّنَتْ تَخْفيفاً. أو أصلُهُ: لا أيْسَ، طُرِحَتِ الهمزةُ، وأُلْصقَتِ اللامُ بالياءِ. والدليلُ قولُهم: انْتِنِي من حيثُ أيْسَ وليس، أي: من حيثُ هو ولا هو، أو معناهُ: لا وُجِدَ، أو أيْسَ، أي: موجودٌ، ولا أيْسَ: لا موجودٌ، فَخَفَّفوا، وإنما جاءَتْ بمعنى لا التَّبْرِئَةِ"(الفيروزآبادي،٢٠٠٥م، ٥٨٤).

ثانيًا: كاد وأخواتها.

تنقسم هذه الأفعال بحسب دلالتها في الجملة إلى ثلاثة أقسام:

– القسم الأول: ما دلَّ على المقاربة، وهي: كاد، كرَبَ، أوشكَ.

– القسم الثاني: ما دلَّ على الرجاء، وهي: عسى، حرى، اخلولق.

– القسم الثالث: ما دلَّ على الشّروع والإنشاء، وهي: جَعَل، طفِقَ، أخذ، عَلِقَ، أنشأ، وهب، قام.

وتستعمل هذه الأفعال استعمال (كان وأخواتها) فترفع المبتدأ ويسمّى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، ويشترط في خبرها أن يكون مضارعًا (ابن عقيل،١٩٨٠م،٣٢٣/١) قال تعالى: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ} [طه: ١٢١]. وجدير بالذّكر، الحديث عن (كاد) لورودها في الدراسة التطبيقية، ذلك أنّ ثمّة إجماعا من النّحاة واللغويين والمفسّرين أنّ (كاد) المثبتة إذا دخلت على فعلٍ مثبت أفادت نفي الفعل بعدها، أي أفادت نفي خبرها، ومن البديهيّ أنّها إذا دخلت على فعل منفيّ أفادت الضدّ من ذلك، أي: أنّهم إذا أجمعوا على أنّ: (كادوا يفعلون) يفيد عدم فعلهم، فإنّ (كادوا لا يفعلون) يفيد وقوع فعلهم (زيدان، عبد الجبار فتحي،٢٠٢٠، ٢٨).

ثالثًا: ظنَّ وأخواتها.

من نواسخ المبتدأ والخبر (ظنَّ وأخواتها) وهي أفعال تدخل على المبتدأ والخبر فتنسخ عملهما وتنصبهما، ويسمّى المبتدأ (مفعولها الأوّل) ويسمّى الخبر (مفعولها الثّاني). (ابن يعيش،٢٠٠١م،٢٩٨/٤)

قال سيبويه: "هذا باب الفاعل الذي يتَعدّاه فعلُه إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر وذلك قولك: حَسِبَ عبد الله زيدًا بكرًا، وظن عمرو وخالداً أباك، وخالَ عبدُ الله زيدًا أخاك، ومثل ذلك: رأى عبدُ الله زيدًا صاحبنَا"(سيبويه،١٩٨٨م،٣٩/١).

وتنقسم هذه الأفعال على قسمين:

– القسم الأول: أفعال القلوب، وتنقسم أفعال القلوب بدورها إلى:

١. أفعال اليقين، الدّالة على اليقين بوقوع الخبر، ويندرج تحت هذا القسم مجموعة من الأفعال، أشهرها: عَلِمَ، ورأى، ووجد، ودرى، وتعلَّم الذي بمعنى (أعلم).

٢. أفعال الرجحان، الدّالة على الظّنّ بوقوع الخبر، أشهرها: ظنَّ، وحسِبَ، وزَعَم، ووعدَّ، وحجا، وجعل إذا كان بمعنى (ظنَّ)، وهبْ، وخال. (ابن يعيش،٢٠٠١م)

- الحروف النّاسخة ودلالاتها

تدخل الحروف النّاسخة على الجملة الاسمية فتنسخ عمل المبتدأ والخبر، والحروف النّاسخة قسمان:

– القسم الأوّل: حروف تدخل على الجملة الاسميّة فترفع المبتدأ ويسمّى (اسمها) وتنصب الخبر ويسمّى (خبرها) أي تعمل عمل (كان وأخواتها) وهذه الحروف هي:(ما) في لغة أهل الحجاز، ولا، ولات، وإن، وتدلّ هذه الحروف على معنى النّفي كما تدل عليه (ليس). (ابن عقيل،١٩٨٠م)

– القسم الثّاني: حروف تدخل على الجملة الاسميّة فتنصب المبتدأ ويسمّى (اسمها) وترفع الخبر ويسمّى (خبرها)، ويندرج فيه الحروف الستّة الآتية: إنَّ، أنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليتَ لعلَّ. (ابن عقيل،١٩٨٠م،١/٣٤٥).

وتدلّ هذه الحروف بدخولها على الجملة على معانٍ جديدة تضفيها عليها، إذ تدل(إنَّ) و(أنَّ) على معنى التّوكيد، "وروي أنّ الكندي المتفلسف ركب إلى المبرد وقال: إني أجد في كلام العرب حشواً؛ أجد العرب تقول: عبد الله قائم، ثم تقول: إن عبد الله قائم، ثم تقول : إن عبد الله لقائم. فقال المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم:(إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم (إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر لقيامه"(الرازي،١٤٢٠هـ،(1/127 . وقال ابن يعيش: "فأمّا فائدتهما، فالتأكيدُ لمضمون الجملة، فإنّ قول القائل: "إنّ زيدًا قائمٌ" ناب منابَ تكرير الجملة مرتَيْن، إلَّا أن قولك: "إن زيدًا قائمٌ" أوْجَزُ من قولك: "زيدٌ قائمٌ زيدُ قائمٌ"، مع حصول الغرض من التأكيد. فإن أدخلتَ اللام، وقلت: "إنّ زيدًا لَقائمٌ"، ازداد معنى التأكيد، وكأنّه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاثَ مرّات، وكذلك "أنَّ" المفتوحة تفيد معنى التأكيد كالمكسورة". (ابن يعيش،٢٠٠١م،٤/٥٢٦)

وتدل (كأنَّ) على معنى التّشبيه، وتدل (لكنَّ) على الاستدراك، وتدل (ليت) على معنى التّمني، أمّا (لعلَّ) فتدل على معنى التّرجي والإشفاق، (ابن عقيل،١٩٨٠م،١/٣٤٦) قال د. فاضل السّامرائي: "هي لتوقّع شيء محبوب أو مكروه، فتوقع المحبوب يسمّى ترجيًّا أو إطماعًا، وتوقع المكروه يسمّى إشفاقًا". (السّامرائي، ٢٠٠٠م،١/٣٠٤).

دراسة تطبيقيّة في الجزء الأول من القرآن الكريم

- **المبحث الأوّل: دخول الأفعال الناسخة على الجملة الاسميّة:**

أوّلا: تراكيب جاء فيها اسم الفعل الناسخ اسمًا ظاهرًا وخبره جملة:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ(20) ...﴾.

التركيب النّحوي: (يكاد) فعل مضارع ناسخ + اسم يكاد (البرقُ)+ مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة الفعلية خبر الفعل الناسخ في محل نصب (يخطف)+ مفعول به (أبصارهم).

الدّلالة:

جاء التركيب النحويّ ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾ في سياق الحديث عن المنافقين في صورة بلاغية بديعة من التشبيه التمثيليّ الذي يصوّر حالتهم في تذبذبهم في قبول الهدى، ومخادعتهم للمؤمنين، " فكأن قائلا قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد ﴿فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾؟ فقيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم، ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقال: يكاد البرق يخطف أبصارهم"(الرّازي،١٤٢٠هـ،٣١٧/٢) وقد دخل الفعل الناسخ (يكاد) وهو من أفعال المقاربة على الجملة الاسميّة (البرق يخطف أبصارهم) فأفاد التركيب الدلالات الآتية:

١. الإيضاح والتّقرير لحال المنافقين:

دلّ إسناد الخبر (يخطف) إلى المبتدأ (البرق) على "مجاز عقلي علاقته السببية لأن المزيل الحقيقي لأبصارهم هو "الله" والبرق سبب. وسره البلاغي: إبراز المعنوي في صورة المحسوس للإيضاح والتقرير"(المطعني،١٩٩٢م،٣٤٢/٢) وذلك في تشبيه الإزالة للبصر بعمليّة الخطف، لما في معنى الخطف من دلالة النزع، فينزع الأبصارَ ومن ثمَّ الإبصارَ، أمّا الإزالة فقد تفيد سلبَ البصَرِ دون آلته، فتكون محدودة المعنى مقارنة بـ"الخطف"، وفي ذلك فضح للمنافقين وما أبطنوا، قال ابن كثير: "يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان"،(ابن كثير،١٤١٩هـ،١٠٠/١) وقال ابن أبي حاتم في تفسيره الآية عن ابن عباس: "يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين"(الرّازي، ١٤١٩ هـ، ٥٧/١) وقد دلّ استعمال (يكاد) وهو من أفعال المقاربة على "مقاربة الخبر من الوجود، لكنّه لم يوجد لوجود مانع، ويشترط أن يكون خبرها فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير (أن)، لتوكيد القرب بالدلالة على الحال(البيضاويّ،١٤١٨هـ،٥٢/١).

٢. من عادى الله ما له من وليّ:

أفاد تشبيه حال المنافقين في تلقّيهم الوحي بالتركيب النحوي (يكاد البرق يخطف أبصارهم)، أنّهم لمّا شاقّوا الله ورسوله، وعادوا ربّ الكون، فإنّ الكون صار عدوًّا لهم بما فيه

من ظواهر طبيعيّة مسيّرة بأمر الله، "فكما أن الرعد يعاديهم فلا يستطيعون السمع؛ كذلك البرق يخاصمهم بإضاءته فيظلم أبصارهم، ثم بعد سماع تجاوب الكائنات على عداوتهم ينادي ذهن السامع بـ (فما مصير حالهم وما يفعلون؟ وبمَ يشتغلون؟) فقال: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ مشيرًا إلى أنهم مشوشون مترددون متحيرون مترقبون لأدنى فرصة ولأدنى رؤية للطريق" (النورسيّ،٢٠٠٢م،٣٧/١).

٣. دلالة بلاغيّة- استعارة تصريحيّة:

جاء التركيب من الناسخ واسمه وخبره ليكون حديث القرآن الكريم هنا عن البرق بعد أن "تقدم مثلهم بـ "الصّيب" الذي فيه ظلمات ورعد وبرق. وكان من أثر الرعد أن جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوه. وبعد أن بين هناك أثر الرعد. أخبر عن البرق أنّه كان ساطعا قويا حال دون أبصارهم ودون الإبصار بها. ولما كان البرق غير دائم الظهور وإنما هو يلمع ثم يختفي فيعود لامعا. كان المسند إليه (يخطف) مناسبا لظهوره السريع واختفائه الأسرع، لأنّ الخاطف دأبه دائما أن يقفز فيخطف ثم يسرع مدبرا. وبما أنّه لا خطف هنا حقيقة، جاء الفعل (يكاد) لتصوير الحدث كما هو في الواقع، نافيًا عنه كل مظنات الغلو، في تعبير مجازيّ، إذ هو استعارة تصريحية تبعية شبه فيها أثر البرق في أبصارهم من الضعف والكلال بـ " الخطف". والجامع ما يترتب على كلٍّ من إزالة ما يترتب على الشّيء موجودا. والقرينة استحالة وقوع الخطف من البرق. (المطعني،١٩٩٢م،٣٤١/٢)

- تراكيب جاء فيها اسم كان اسمًا ظاهرًا وخبرها شبه جملة:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٩٤)﴾

التركيب النّحوي: لهذا التّركيب الإعرابات الآتية:

	إنّ	كان	لكم	الدارُ	الآخرة	عند الله	خالصة
1	حرف شرط يفيد الاستقبال	فعل ماضٍ ناسخ	جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر كان مقدّم	اسم كان	صفة	ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر ثانٍ	خبر كان
2	=	=	جار ومجرور مقدّم	=	=	=	حال
3	=	=	جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر كان مقدّم	اسم كان مؤخّر	=	=	=

الدّلالة:

جاء التركيب النّحوي في سياق تعنّت بني إسرائيل وتكبّرهم على سائر الأمم، ذلك أنّهم ادعوا دعاوى باطلة فقالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الجنة، خالصة خاصة لكم عند الله من دون الناس فتمنوا الموت واطلبوه واسألوه، لأن من علم أن الجنة مأواه حن إليها، فاستعجلوه بالتمني، إن كنتم صادقين في قولكم(البغويّ،١٤٢٠هـ،١٤٣/١) وقد أنتج هذا التّركيب النّحويّ الدّلالات الآتية:

١. اختلاف التوجيه النحوي:

احتمل التركيب النحوي ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ أكثر من توجيه نحويّ بسبب اختلافهم في خبر الفعل الناسخ على ثلاثة أوجه، أوّلها: أنّه (خالصة) فتكون (عند) ظرفا لخالصة أو للاستقرار الذي في (لكم)، والثاني: أن تكون (خالصة) حالا من (الدار) والعامل فيه (كان) أو الاستقرار ويكون الخبر (لكم) متعلّقا بـ (كان) لأنها تعمل في الظرف وشبهه والثالث: أن يكون الخبر شبه الجملة من الظرف والاسم المجرور (عند الله) (السّمين الحلبي، الدّرّالمصون،٧/٢).

٢. دلالة التوجيه الأوّل: افتراض خلوص الآخرة لليهود:

أفاد التركيب النّحويّ في التّوجيه الأوّل أنّه "إن كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول إليها فتمنوا الموت، والدار اسم كانت، وخالصة خبرها"(ابن عطيّة،١٤٢٢هـ،١٨١/١). فأخبر عن الدار الاخرة بأنها خالصة لهم وحدهم محصورة بهم. ويكون التقدير: إن كانت الدار الآخرة خالصةً عند الله لكم وحدكم فتمنّوا الموت.

٣. دلالة التّوجيه الثاني: الاهتمام والحصر والاختصاص:

جاء الإخبار بالجار والمجرور المقدّم (لكم)، فأنتج خبرا مقدّما للاهتمام أو لإفادة الحصر واسما مؤخّرًا (الدّار)، وأعربت شبه الجملة (عند الله) على الظرفيّة، "والكلام في لكم مشعر بأن المراد من الدار الآخرة نعيمها ولكم خبر كانت قدم للحصر بناء على اعتقادهم"(ابن عاشور،١٩٨٤م،٥١٤/١) لذلك نجده "قدم لكم للاختصاص، إذ قال لهم إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة لكم وحدكم لا يشارككم فيها كما تزعمون فتمنوا الموت"(السّامرائي، ٢٠٠٠م،١٠٦/٣) أمّا عن تعلّق شبه الجملة (لكم) بمحذوف خبر، فقد "استغنى عن التصريح بالنعيم أو الثواب بقوله (لكم) فإنه يشعر بالمحذوف"(رضا،١٩٩٠م،٣٢١/١) ونصب خالصة على الحال من الدار وما بعده للتأكيد(الآلوسي،١٤١٥هـ،٣٢٧/١) فإن سألنا كيف ترون الدار الآخرة لكم، قالوا: خالصة لنا

من دون الناس،"أي: سالمة لكم، خاصة بكم، ليس لأحد سواكم فيها حق"(الزمخشري،١٤٠٧هـ،١٦٦/١).

٤. دلالة التوجيه الثالث:

وهنا جاء الإخبار عن الدّار الآخرة بالظرف والاسم المجرور بعده (عند الله) وأعرب (لكم) جارًّا ومجرورًا مقدّمين، ونصب (خالصة) على الحال(ابن عطيّة، ١٤٢٢هـ) قال الرازي:"(عند الله) فليس المراد المكان بل المنزلة ولا بعد أيضا في حمله على المكان"(الرّازي، ١٤٢٠هـ،٥٠٨/٣) وقيل: المراد- بالعندية- المكانة والمرتبة والشرف"(الآلوسيّ،١٤١٥هـ،٣٢٧/١)، وقال ابن عاشور: "العندية عندية تشريف وادخار أي مدخرة لكم عند الله وفي ذلك إيذان بأن الدار الآخرة مراد بها الجنة"(ابن عاشور،١٩٨٤م،٥١٤/١) وأمّا نصب (خالصة) على الحال، فقد "ذكر الخلوص تأكيدا للمعنى، و زاده تأكيدا بقوله (من دون الناس) أي سائرهم لا يشرككم فيها أحد منهم، من الخلوص وهو تصفية الشيء مما يمازجه في خلقته مما هو دونه".(البقاعيّ،١٩٨٤م،٥٨/٢)

٥. تعليق الأمر بالمستقبل وبيان استحالته:

جاء التركيب النّحويّ في سياق الشّرط، فقد سبق الفعل الناسخ بحرف الشرط (إنْ) التي تفيد الاستقبال وإن جاء بعدها الماضي (كانت)، كما أنّها "تقتضي تعليق شيء ولا تستلزم تحقق وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كما في قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ (الزخرف: ٨١)"(الكفويّ، الكليّات،١٦٦/١)

٦. صحّة دعوة الرّسول الكريم ومن تبعه:

أفاد الشّرط في التركيب النّحوي صحّة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربّه، إذ لولا علمه بذلك وتثبّته لما تمكّن من إنشاء هذا التّحدّي، وفي ذلك قال الرّازي: "لا يجوز أن يقال على طريق الاستدلال على الخصم إن كان كذا وكذا فافعل كذا إلا والأول مذهبه ليصح إلزام الثاني عليه"(الرّازي،١٤٢٠هـ،٥٠٥/٣)، فهم وإن كانوا يعتقدون في أنفسهم أنّهم محقّون بتفضيل الله لهم؛ فقد ثبت بهذا التّحدّي تهافت دعواهم، وصحّة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم. وقد تحدّت هذه الآية اليهود" كما تحدى القرآن مشركي العرب بقوله: فأتوا بسورة من مثله (البقرة: ٢٣). وإنما فصلت هاته الجملة عما قبلها؛ لأن هذه الآية إلقاء حجة عليهم والآيات السابقة تفظيع لأحوالهم وإن كان في كل من ذلك احتجاج، لكن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب كان محسنا للفصل دون العطف لا سيما مع افتتاح الاحتجاج بقل" (ابن عاشور،١٩٨٤م،٥١٤/١) .تراكيب جاء فيها اسم كان ضميرًا متصلًا وخبرها جملة: ﴿...وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(10) ﴾

التركيب النّحوي: حرف جر للسببية (الباء)+ اسم موصول (أو مصدريّة) في محل جر بالباء (ما)+ فعل ناسخ واسمه (كانوا)+ فعل مضارع وفاعل والجملة خبر كانوا (يكذبون)

الدّلالة:

جاء التركيب النّحويّ في سياق الحديث عن المنافقين الذين ظنّوا أنهم يخادعون الله والّذين آمنوا، فبيّن الله تعالى أنّ في قلوبهم من أمراض القلوب ما فيها، من حسد وهمّ وغمّ، والله قد زادهم غمًّا في الدّنيا، ولهم في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وقد أنتج هذا التّركيب النّحويّ الواقع صلة للموصول (ما) الدّلالات الآتية:

١. مداومتهم واستمرارهم على الكذب:

أفاد دخول (كان) على الجملة الاسميّة دلالة الدوام والاستمرار، (السّيوطيّ، ١٩٧٤م، ٢٥٦/٢) وجاءت "(ما) بمعنى الذي، وحينئذ فلا بد من تقدير عائد أي: بالذي كانوا يكذبونه، وجاز حذف العائد لاستكمال الشروط، وهو كونه منصوبا متصلا بفعل، وليس ثم عائد آخر".(السّمين الحلبي، الدّر المصون،١٣١) وأفادت كلمة (كانوا) دوام كذبهم وتجدّده (حقّي، روح البيان،٥٦/١) ذلك أنّ المنافقين قد استمرّوا في كَذِبِهم على المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، على قراءة حفص ومن قرأ (يكذبون) بالتّخفيف، أمّا من قرأها بالتّشديد (يُكَذِّبون) ((أي: يوقعون الكذب وهو الإخبار عن أنفسهم بالإيمان مع تلبسهم بالكفران، والمعنى على قراءة التشديد يبالغون))، فدلّ على استمرارهم ومداومتهم على تكذيب القرآن الكريم والرسول صلّى الله عليه وسلّم في دعوته"(البقاعيّ، ١٩٨٤م،١٠٩/١) ذلك أنّ من معاني (كان) "الدّلالة على الماضي المعتاد أو الدلالة على العادة في الماضي، أي كان الفاعل يعتاد الفعل نحو (كان يقوم الليل)، قال تعالى: ﴿كانوا قليلا من اللّيل ما يهجعون﴾(الذاريات:١٧)، أي هذه عادتهم"(السّامرائيّ،٢٠٠٠م،٢١٢/١).

٢. ذمّ الكذب والتّحذير منه:

أفاد دخول (كان) المسبوقة بـ (بما) على الجملة الاسميّة الإشارة إلى خطورة الكذب وعظم ذنبه عند الله تعالى، فقد جاءت "الباء في (بما) للسببية أو للمقابلة و(ما) مصدرية داخلة في الحقيقة على (كانوا)، فألّفت معها مصدرًا (بكونهم)، فيكون المعنى: (بكونهم يكذّبون)، فدلَّ على أنَّ تكوينهم وكينونتهم الذّاتيّة أصبحت كذِبًا. أي:"(بما كانوا يكذّبون) في دعواهم الإيمان بالله واليوم الآخر، فإنّهم لم يصدّقوا بأعمالهم ما يزعمونه من حالهم"(رضا، ١٩٩٠م، ١٣٠/١) وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم نظرا إلى ظاهر العبارة المتخيلة لانفراده بالسببية مع إحاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتّى وأن الاقتصار عليه للإشعار بنهاية قبحه والتنفير منه" (حقّي، روح البيان،٥٦/١).

تراكيب جاء فيها اسم كان ضميرًا مستترًا وخبرها شبه جملة:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(34) ﴾

التركيب النّحوي: فعل ناسخ (كان) + اسم كان الضمير المستتر(هو)+ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (من الكافرين).

الدّلالة:

جاء التّركيب النّحويّ من الناسخ واسمه وخبره في سياق أمر الله تعالى للملائكة –وفيهم إبليس– بالسّجود لآدم سجود التّكريم، فأبى إبليس غرورًا واستكبارًا أن يسجد لآدم، فأصبح بعصيانه واستكباره من الكافرين، وقد أنتج ذلك الدّلالات الآتية:

١. التّحوّل من الإيمان إلى الكفر:

أفاد دخول (كان) النّاسخة الصّيرورة، فكان "قوله: (وكان من الكافرين) أي صار من الكافرين"(الرّازيّ، ١٤٢٠هـ، ٤٢٨/٢) وتحوّل إبليس من حال الإيمان والعيش بين الملائكة إلى الكفر واستحقاق الطّرد من الجنّة، قال السّيوطيّ: "تأتي كان بمعنى صار، نحو: ﴿وكان من الكافرين﴾"(السّيوطيّ، ١٩٧٤م،٢٥٧/٢) قال أبو السّعود: "صار منهم باستقباح أمره تعالى إياه بالسجود لآدم عليه السلام زعمًا منه أنّه أفضل منه"(أبو السّعود، إرشاد العقل السليم،٨٩/١) ومن استعمال(كان) بمعنى(صار) قوله تعالى: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾(هود:٤٣) وقال:﴿وبسَّت الجبال بَسًّا(٥) فكانت هباء منبثا(٦)﴾ (الواقعة)، أي صار كافرا بعدم سجوده لأن امتناعه ناشئ عن استكباره على الله، ذلك أن الانقلاب الذي عرض لإبليس في جبلّته كان انقلاب استخفاف بحكمة الله تعالى؛ فلذلك صار به كافرًا صراحًا.(ابن عاشور،١٩٨٤م)

٢. نفاق إبليس وإبطانه الكفر المسبق:

وقد يفيد دخول (كان) معنى سبق كفر إبليس وإبطانه الكفر نفاقًا، ودوامه واستمراره على هذا الكفر(السّيوطيّ، ١٩٧٤م،٢٥٦/٢) وفضح الله له بهذا الاختبار أمام الجميع، "إذ تختص كان بمرادفة (لم يزل) كثيرا، أي أنها تأتي دالة على الدوام وإن كان الأصل فيها أن يدلّ على حصول ما دخلت عليه فيما مضى مع انقطاعه"(السّيوطيّ، همع الهوامع،٤٣٧/١) فيكون التركيب (وكان من الكافرين) معطوفًا على جملتي (أبى) و(استكبر) الاستئنافيّتين،"أي: في علم الله تعالى إذ كان أصله من كفرة الجن؛ فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه...﴾(الكهف: ٥٠) فالجملة اعتراضيّة مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار".(أبو السّعود، إرشاد العقل السليم،٨٩/١)

٣. حال إبليس حين امتناعه عن السّجود:

كما يفيد دخول (كان) الدلالة على الحال(السّيوطيّ،١٩٧٤م،٢٥٦/٢) وجاء في روح المعاني: "وكان من الكافرين مستأنف أو في موضع الحال"(الآلوسيّ،١٤١٥هـ،٢٣٢/١) أي: استكبر عن السّجود في حال كفره، وتكون الواو في قوله:(وكان) حاليّة، والجملة بعدها في موضع النّصب على الحال.

ولا يرى ابن عاشور أنّ (كان) تفيد اتّصاف إبليس قبل الأمر بالسّجود، بل إنّها تفيد اتصافه بالكفر في زمن مضى قبل زمن نزول الآية، وليس المعنى أنه اتصف به قبل امتناعه من السجود لآدم؛ لما علمت من أن فعل المضي يفيد مضي الفعل قبل وقت التكلم (ابن عاشور،١٩٨٤م،٤٢٦/١) فيكون حاله لما أبى واستكبر وامتنع عن السّجود أنّه كان وقت الامتناع من الكافرين، واستمرّ على حاله تلك فلم يتب واستحقّ اللعنة والطرد من الجنّة.

- ممّا سبق يتبيّن أنّ دلالة (كان) مقصودة في الدلالة على نفاق إبليس وإبطانه الكفر المسبق ، فهو كافر في نفسه فلذلك كفر، ولو أراد الله عز وجل (صار) ومعناها لذكرها صراحة، لكنّه ذكر (كان) الّتي هي أدلّ ما يكون على حالة إبليس من الكفر المسبق وظهور هذا الكفر لمّا أمر بالسجود.

ثانيًا: دخول الحروف النّاسخة:

- تراكيب جاء فيها اسم (الحرف النّاسخ) وخبره اسمين ظاهرين:

١. ما:

﴿.. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾

التركيب النّحوي: حرف ناسخ بمعنى ليس(ما)+ اسم ما لفظ الجلالة(الله)+ خبر ما(غافل).

جاء التركيب في سياق الحديث عن بني إسرائيل وما غمرهم الله تعالى به من نعم، ثمّ واجهوا ذلك بكفر وصدٍّ عن سبيل الله، وقسوة في قلوبهم فاقت قسوة الحجارة، فأخبرهم تعالى أنه غير غافل أو ساهٍ عن أفعالهم الخبيثة، وقد أنتج التركيب الدلالات الآتية:

١. التهديد بنفي حال الغفلة عن الله عزّ وجلّ:

أفاد دخول (ما) العاملة عمل ليس نفي غفلة الله تعالى عمّا يعمل أولئك القاسية قلوبهم. أي: وما الله بساه عما تعملون، وفيه وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به(البغويّ،١٤٢٠هـ،١٣٥/١) أي: "وهو يربّيكم بصنوف النقم إذا لم تُجدِ فيكم ضروب النعم، ولا يخفى ما في هذا من شديد التهديد والوعيد"(الهرريّ،٢٠٠١م،٤٩٨/١) ولأنّ(ما) مثل(ليس) تختصّ بنفي الحال (ابن يعيش،٢٠٠١م،٢٦٧/١) فقد أفادت مع اسميّة

الجملة ثبوت نفي حال الغفلة عن الله عزّ وجل. وقد ذكر ابن يعيش أنّ(ليس) الفعل أقوى من (ما) الحرف (ابن يعيش،٢٠٠١م،٢٦٨/١) ويرى السّامرّائي أنّ النّفي بـ(ما) أقوى منه بـ(ليس) لاعتبارات عدّة، منها غلبة وروده في القرآن الكريم على ليس، ونفي الجمل التي تحتاج إلى توكيد كثير في القرآن بما، كقوله تعالى: {مالكم من إله غيره}، ووقوع (ما) في جواب القسم دون ليس (السّامرائيّ، ٢٠٠٠م،٢٥٢/١-٢٥٤)، وغير ذلك من الأسباب، وأحسب أنّ السّامرّائي أصاب في رأيه هذا.

٢. ثبوت التّذكير بالعقاب يوم القيامة:

أفاد نفي الجملة الاسميّة بـ (ما) الناسخة عوضا عن الفعل الناسخ (ليس) دلالة الثبوت والدّوام التي هي من خصائص الاسم، "فالجملة المبدوءة بـ (ليس) فعلية، والجملة المنفية بـ (ما) اسمية، والجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية"(السّامرائيّ،٢٠٠٠م،٢٥٣/١) وفي ذلك الثبوت تذكير بمقتضى المعنى، فكأنّه يقول لهم: إن كنتم غفلتم عن تطبيق شرع الله فالله ليس بغافل عن أعمالكم وكفركم، وعدم غفلته هذه ثابتة مستقرّة في كلّ وقت ومكان.

٢. إنَّ:

- ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20) ﴾

التركيب النّحويّ: حرف ناسخ (إنّ)+ اسم إنّ لفظ الجلالة (الله)+ جار ومجرور متعلّقان بالخبر (على كلّ) + مضاف إليه (شيء)+ خبر إنَّ (قدير).

جاء التّركيب (إنّ الله على كلّ شيء قدير) من إنّ الناسخة واسمها وخبرها الظاهرين في سياق الحديث عن المنافقين الّذين ظنّوا أنّهم يخادعون الله وهو خادعهم، فأخبر عنهم الله تعالى بأنهم كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، فإذا عرضت لهم الشّكوك أظلمت قلوبهم فحاروا. ولو شاء الله لأفقدهم السمع والبصر لكفرهم، ذلك أنّ الله تعالى على كل ما أراد قدير (ابن كثير،١٤١٩هـ،١٠٢/١) وقد أفاد التركيب الدلالات الآتية:

١. التوكيد والتّحذير:

أفاد دخول الحرف النّاسخ (إنّ) على الجملة الاسميّة (الله على كلّ شيء قدير) دلالة التّوكيد، فدخول "(إن) الْمَكْسُورَة لَا يغير معنى الْجُمْلَة بل يؤكّدها"(الكفوي،الكليّات،١٠٩) فهي تأتي " لتوكيد الحكم ونفي الشك فيه أو الإنكار له" (ابن النّاظم، ٢٠٠٠م، ١١٦) والله تعالى إنّما أكّد وصف نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ تحذيرًا للمنافقين من بأسه وسطوته فهو بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير (الطّبريّ، ٢٠٠٠م،٣٦٠/١) وإنّما قدّم الجار والمجرور (على كلّ شيء) على الخبر (قدير) للفت انتباههم وتذكيرهم بأنّ الله تعالى لا يعجزه شيء ولا يُستبعَدُ أمام قدرته شيء، ولحصر القدرة العامّة على كلّ شيء به سبحانه وتعالى وقصرها عليه.

٢. تعليل إمكانية حدوث المشيئة:

أفاد دخول الحرف النّاسخ (إنّ) على الجملة الاسميّة دلالة التّعليل لمشيئة الله بالذّهاب بسمعهم وأبصارهم، وعدم استبعاد حدوث ما هُدِّدوا به من ذهاب السّمع والبصر، ذلك أنّ من دلالات (إنَّ) التّعليل كما ذكر صاحب الإتقان، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (المزمل:٣٠)، أي: لأنّ الله غفور رحيم، وقوله تعالى: ﴿وصلّ عليهم إن صلواتك سكن لهم﴾ (التوبة: ١٠٣)، أي: لأنّ صلاتك سكن لهم. وذكر أنّه نوع من التأكيد (السّيوطيّ،١٩٧٤م، ٢٠٦/٢) ففي قوله عزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الله على كل شَيْء قَدِيرٌ﴾ "تعليلٌ للشرطية وتقريرٌ لمضمونها الناطقِ بقدرته تعالى على إزالة مشاعرِهم بالطريق البرهانيّ، والشيءُ بحسب مفهومِه اللغوي يقعُ على كل ما يصِحّ أن يُعلم ويُخبَرَ عنه كائنًا ما كان على أنه في الأصلِ مصدر (شاء) أُطلِقَ على المفعول واكتُفي في ذلك باعتبار تعلّقِ المشيئةِ به من حيث العلمُ والإخبارُ عنه فقط" (أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم،٥٧/١). وعليه فقد أفادت (إنّ) هنا معنى: لو أراد الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم لأنّه القدير على هذا الأمر وغيره.

تراكيب جاء فيها اسم إنّ اسمًا ظاهرًا وخبرها جملة:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)﴾

التركيب النّحوي: (إنَّ) حرف ناسخ للتوكيد+ اسم إنَّ (الذين)+ الجملة الفعلية خبر إنَّ مرفوع (لا يؤمنون).

جاء التركيب النّحويّ (إنّ الّذين كفروا لا يؤمنون) بعد أن انتهى الحديث عن المتّقين وصفاتهم، وفي بداية حديث الله تعالى عن الذين لم يؤمنوا بذلك الكتاب ولم يكونوا من تلك الفئة الناجية المفلحة، وقد أنتج التّركيب الدّلالات الآتية:

١. قوّة الخطاب والتّقريع:

أفاد دخول (إنّ) في بداية الحديث عن فريق الكافرين الحكم المطلق بما يأتي بعدها من اسم وخبر مثبتًا كان أم منفيًّا، وقد دلّت على قوة الخطاب وشدّة التّقريع لتلك الفئة التي يتحدّث عنها وينفي عنها فعل الإيمان بصيغة المضارع الدال على التجدد والحدوث،" وتعريف الموصول: إما للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب، وأبي جهل، وأحبار اليهود. أو للجنس، متناولا من صمّم على الكفر"(البيضاوي،١٤١٨هـ،٤١/١)، فكأنّه أصدر الحكم عليهم بأنّهم مهما تفعل لهم فقد سبق عليهم الكتاب بأنّهم (كفروا) بدلالة الماضي الذي يفيد التقرير والتّحقّق لكفرهم، "والإخبار عن الشيء بصيغة الماضي يقتضي كون المخبر عنه متقدّما على ذلك الإخبار"(الرّازي، ١٤٢٠هـ،٢٨٣/٢)، ودلالة المضارع (لا يؤمنون) الذي ينفي حدوث الإيمان في الماضي والحال والمستقبل، لأنّ الفعل قد يُذكر ولا يُرادُ به

التّخصيص بزمن معيّن إنّما يُرادُ بهِ مُطلَقُ وُجودِ الحدث. (السّامرائيّ، ٢٠٠٠م) قال الحرالي: "(لا يؤمنون) خبر تام عن سابقة أمرهم، ولاحقة كونهم، فتم بالكلامَين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما، كتبا سابقا، وكونا لاحقا"(الحرّاليّ،١٩٩٧م،١/١٥٨).

٢. توكيد كفرهم:

أفاد دخول (إنّ) النّاسخة، وهي حرف يفيد التوكيد والتحقيق(الهلالي، ١٩٨٦م،٣٧) توكيد معنى الجملة الاسميّة (الذين كفروا لا يؤمنون)، ويُقصد بالتوكيد التّثبيت، ولو لم تُذكر –إنّ– لأثّر ذلك في بناء الجملة ومعناها، لأنّ المقصود منه رفع التّوهّم من خلال السّياق، والتّوكيد تمكين للمعنى وتقرير له في الذهن(الحسيني، ١٩٩٢م،٧/١٦٦) فقوله: (إن الذين كفروا) أي بما أنزل الله إليك وإن ادّعوا الإيمان بما جاءهم من الكتاب، فهم بكفرهم بما جاءك من الحقّ المذكور في كتبهم كفروا بما جاء في كتبهم أيضًا، فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك(ابن كثير،١٤١٩ هـ،١/٨٣) فجاء التأكيد بأنّهم لا يؤمنون.

٣. المُرادُ بالكافرين:

في التركيب (إن الذين كفروا) "صيغة للجمع مع لام التعريف وهي للاستغراق بظاهره ثم إنه لا نزاع في أنه ليس المراد منها هذا الظاهر، لأن كثيرا من الكفار أسلموا فعلمنا أن الله تعالى قد يتكلّم بالعام ويكون مراده الخاص، إمّا لأجل أن القرينة الدالة على أن المراد من ذلك العموم ذلك الخصوص كانت ظاهرة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فحسن ذلك لعدم التلبيس وظهور المقصود، وإما لأجل أن التكلم بالعام لإرادة الخاص جائز"(الرّازيّ، ١٤٢٠هـ، ٢/٢٨٤) ودلّ تعريف الموصول الّذين– للعهد على من شافههم النبيّ بالإنذار في عهده وهم مصرون على كفرهم. وقد يكون التّعريف للجنس فيكون حينها عامًّا خُصّص، والإخبار بما ذكر قرينة عليه أو المخصص عود ضمير خاص عليه من الخبر لا الخبر نفسه. (الآلوسيّ،١٤١٥هـ،١/١٢٩).

تراكيب جاء فيها اسم إنّ اسمًا ظاهرًا وخبرها شبه جملة:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ(74)...﴾

التركيب النّحوي:

١) (إنّ) حرف ناسخ للتوكيد+ شبه الجملة "من الحجارة" متعلقان بخبر إنّ المحذوف+ اسم إنّ ولام التّوكيد (لمّا).

٢–٣) (إنّ)حرف ناسخ للتوكيد+ شبه الجملة من الجار والمجرور متعلقان بخبر إنّ المحذوف "منها"+ اسم إنّ ولام التّوكيد(لمّا).

جاءت التّراكيب النّحويّة الثّلاثة الواردة في الآية الكريمة في سياق الحديث عن اليهود بعد أن سرد القرآن الكريم قصّة أصحاب البقرة، رأوا ولمسوا معجزة إحياء الموتى وكشف الحقائق بقدرة الله تعالى، ثمّ إنّهم بعد كلّ هذه البيّنات قست قلوبهم كالحجارة بل أشدّ منها قسوة، وقد أفادت هذه التراكيب منفردة أو في تسلسلها الدّلالة الآتية:

تفضيل الحجارة على قلوب الذين كفروا:

أفادت الجملة الاسميّة المؤكّدة بـ (إنّ) الثقيلة دلالة أفضلية الحجارة لكونها أرقّ من قلوب الذين كفروا وردّوا الحقّ بعدما علموه، قال ابن عطيّة: "﴿وإن من الحجارة﴾ الآية، معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم في معنى قلة القسوة، وقال قتادة: عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بني آدم"(ابن عطيّة،١٤٢٢هـ،١٦٧/١) وفي هذا التركيب وما تبعه بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة وتقرير لقوله ﴿أو أشدّ قسوة﴾ (الهرريّ، ٢٠٠١م،٤٩٥/١) وذلك من خلال التوكيد بإنّ لما أخبر به عن اسم الموصول –ما– المعبّر به عن الحجارة من تفجّر الأنهار، وتشقّقها وخروج الماء من شقوقها، وهبوطها من خشية الله تعالى.

تراكيب جاء فيها اسم إنّ ضميرًا متّصلًا وخبرها اسمًا ظاهرًا:

– ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾

التركيب النّحوي: حرف ناسخ للتوكيد(إنَّ)+ اسم إنّ (ضمير متّصل عائد على الصّلاة أو الاستعانة: هاء الغائب في "إنها") + اللام المزحلقة اتّصلت بخبر إنّ (لكبيرة) + أداة حصر (إلا) + جار ومجرور متعلقان بكبيرة (على الخاشعين).

جاء التّركيب النّحويّ في سياق الحديث عن بني إسرائيل وقد تضمّنت الآية خطابا لهم يرشدهم إلى ما يعينهم على التخلّق بجميع ما عدّد الله لهم والتحلّي بالمحامد والتخلّي عن المذمّات، فإنهم لما خوطبوا بالترغيب والترهيب والتنزيه والتشويه ظن بهم أنهم لم يبق في نفوسهم مسلك للشيطان ولا مجال للخذلان، إلّا أن ذلك الإلف القديم للمعاصي يثقل أرجلهم في الخطو إلى هذا الطريق القويم، فوصف لهم الدواء الذي به الصلاح وهو الاستعانة بالصبر والصلاة(ابن عاشور،١٩٨٤م،٤٧٧/١)، فكأنّه حثّهم في تحفيز تنافسيّ على أن يكونوا من أولئك الخاشعين لينالوا خير الاستعانة بهما، وقد أفاد التّركيب النّحويّ –وإنّها لكبيرة– الدّلالات الآتية:

١. التوكيد والاشتداد فيه:

أفاد دخول (إنّ) النّاسخة على الجملة الاسميّة دلالة التوكيد كما هو شأنها كما أسلفت، وزاد الخطاب القرآني في التوكيد بدخول اللام المزحلقة على خبر (إنّ) في قوله تعالى

(لكبيرة)، ويراها البعض في شدّة توكيدها كالقسم، قال سيبويه: "فإنّ إنّ حرف توكيد فلها لام كلام اليمين"(سيبويه،١٩٨٨م،٤٥٦/٢).

٢. تعدّد معاني عود الضمير(ها):

أفاد اتّصال الحرف النّاسخ بضمير متّصل (إنّها) عدّة دلالات بسبب اختلاف عود الضّمير (ها) كما رأى اللّغويّون والمفسّرون، فمنهم من رأى أنّها تعود على الصّلاة، ومنهم من رأى عودها على الصّبر والصّلاة معًا، ومنهم من قال بعودها على الاستعانة، ومنهم من أعادها على إجابة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، وفيما يأتي بيان الدلالات النّاتجة عن اختلاف تقدير عود الضّمير.

٣. ثقل الصّلاة إلّا على الخاشعين:

لمن قال بعود الضّمير (ها) المتّصل بالحرف النّاسخ (إنّ) على الصّلاة، "وإنّ الصّلاة لثقيلة إلّا على المؤمنين، لعود الكناية إلى مؤنث اللفظ"(الماوردي، النكت والعيون،١١٥/١). ورأى مقاتل أنها حين صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة كبر ذلك على اليهود، واستثنى فئة الخاشعين المتواضعين من المؤمنين لم يكبر عليهم تحويل القبلة(مقاتل،١٤٢٣هـ،١٠٢/١). وقال القرطبيّ كذلك بعودة الضمير على الصلاة خاصّة لأنها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم، ويرى أنّ المقصود بالصّبر: الصوم؛ فالصلاة فيها سجن النفوس والصوم إنما منع الصائم شهوة النّساء والطعام والشراب ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشي وملاقاة الخلق فيتسلّى بتلك الأشياء عمّا منع. والمصلّي يمتنع من جميع ذلك فجوارحه كلّها مقيّدة بالصّلاة عن جميع الشّهوات؛ فكانت الصّلاة أصعب على النفس ومكابدتها أشد، فعدّها الله عزّ وجلّ (كبيرة)(القرطبي، ١٩٦٤م،٣٧٣/١) (وإنّما كان ردّ الضّمير إليها لتخصيصها؛ تعظيمًا لشأنها واستجماعها ضروبا من الصبر (البيضاوي،١٤١٨هـ،٧٨) وذكر السّمين الحلبي أنّ الضمير في (إنّها) يعود على الصلاة وإن تقدّم الضّمير الصّبر والصّلاة معًا، لأنّ الصّلاة أغلب منه وأهم، وهو نظير قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾(الجمعة:١١) أعاد الضمير على التجارة لأنها أهم وأغلب. وقال الشّوكاني: "يجوز إرجاع الضمير إلى أحد الأمرين المتقدم ذكرهما إذا كان أحدهما داخلا تحت الآخر بوجه من الوجوه" (الشوكاني، ١٤١٤هـ،٩٣/١). وفي استدلال جديد يرى فاضل السّامرّائي أنّ الضّمير في (إنّها) عائد على الصّلاة وقد ختم الآية بالكلام عليها، إذ تقدّم ذكر الصّلاة والمطالبة فيها، في حين قال تعالى في السورة نفسها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(١٥٣)﴾ فختم الكلام في الآية على الصّبر، ذلك لأنّ الكلام عليه والسّياق يقتضيه، فقد جاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ(١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ(١٥٥)﴾، والّذي يقتضي التذكير بالصّبر وتبشير الصّابرين (السامرائي،٢٠٠٢م،٢٣١).

- والذي نراه أنّ القول بعود الضّمير (ها) المتّصل بالحرف النّاسخ (إنّ) على الصّلاة، هو الأولى والأرجح، وهو المقصود والله تعالى أعلى وأعلم.

٤. ثقل الصّبر والصّلاة معًا:

لمن قال بعود الضّمير (ها) المتّصل بالحرف النّاسخ (إنّ) على الصّبر والصّلاة معًا، "يعني الصبر والصلاة، فأرادهما، وإن عادت الكناية إلى الصلاة؛ لأنها أقرب مذكور"(الماوردي، النكت والعيون،١/١١٦). فقد أفاد التركيب (وإنّها لكبيرة) دلالة ثقل الصّبر والصّلاة على النّفس، وجاء أنّ المقصود بالصّبرِ الصّومُ "لأنه حبس عن المفطرات. ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصبر. ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء، وأن يستعان على البلايا بالصبر، والالتجاء إلى الدعاء، والابتهال إلى الله تعالى في دفعه"(الزمخشري،١٤٠٧هـ،١/١٣٤). وقال البغوي: "وإنها، ولم يقل وإنهما، ردّ الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما، كما قال: (كلتا الجنتين آتت أكلها) (الكهف:٣٣)، أي: كلّ واحدة منهما، وقيل: معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصارا"(البغوي،١٤٢٠هـ،١/١١٢).

٥. ثقل الاستعانة وما تعلّق بها:

أمّا من قال بعود الضّمير (ها) المتّصل بالحرف النّاسخ (إنّ) على المصدر، وهو (الاستعانة) التي يقتضيها قوله تعالى:﴿واستعينوا﴾ أو على العبادة المدلول عليها بالصبر والصلاة فمنهم الزّمخشري وابن عطيّة وغيرهما(الزمخشري،١٤٠٧هـ،١/١٣٤). وجاء في قوله: (لكبيرة) أي: لشاقة ثقيلة من قولك: كبر عليّ هذا الأمر، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ (الشّورى:١٣) (الزمخشري،١٤٠٧هـ،١/١٣٤)، وقال أبو زهرة: "إنه يعود إلى الضمير المنسبك من ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾، لأن الصّبر والصّلاة الحقيقية أمران كبيران خطيران عظيمان يسيران بالنفس في مدارج الكمال النفسي والروحاني، فيكون الانسجام بين القول والعمل"(أبو زهرة، زهرة التفاسير،١/٢١٩).

٦. عموم المقصود من الخطاب:

ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الضّمير المتّصل في (إنّها) عائد على جميع الأمور التي أُمر بها بنو إسرائيل أونُهوا عنها، ابتداءً من قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي﴾ إلى ﴿واستعينوا﴾ وأضاف الرّازي: "والعرب قد تضمر الشيء اختصارا أو تقتصر فيه على الإيماء إذا وثقت بعلم المخاطب فيقول القائل: ما عليها أفضل من فلان يعني الأرض. ويقولون: ما بين لابتيها أكرم من فلان يعنون المدينة، وإنها ثقيلة على من لم يخشع أنه من حيث لا يعتقد في

فعلها ثوابا ولا في تركها عقابا، فيصعب عليه فعلها. فالملحد إذا لم يعتقد في فعلها منفعة ثقل عليه فعلها، أما الموحد فلما اعتقد في فعلها أعظم المنافع وفي تركها أعظم المضار لم يثقل ذلك عليه لما يعتقد في فعله من الثواب والفوز العظيم(الرازي،١٤٢٠هـ،٣/٤٩٠).

٧. إشراقة تربويّة:

أنتج التّركيب من النّاسخ، و اسمه وخبره والإخبار عن الصّبر والصّلاة أنّها كبيرة، إشراقة تربوية ربّانيّة، تمثّلت في إعلام الله تعالى للمكلّفين بِعِظم ما كلّفوا به، وبأنّه يحتاج منهم عزمًا وجهدًا وثباتًا، وقد جاء الإعلام بذلك حين التّكليف كما يقول ابن عرفة: "ليكون المكلَّف على تأهب وبصبرة فلا يظهر له حين العمل إلّا ما دخل عليه، والخشوع هو استحضار التقصير في العمل وفق المجازاة عليه"(ابن عرفة،٢٠٠٨م،١/١٠٧). وفي ذلك توجيه للمربّين لبيان الحجم الحقيقيّ لأي تكليف يوكلونه إلى أيّ مكلّف، وإعداده النّفسيّ وتحفيزه لإنجازه على الوجه المطلوب. والتّحفيز الّذي اتّبعته الآيات في قوله تعالى:﴿إلّا على الخاشعين﴾ كفيل بإثارة حماس السّائرين إلى الله تعالى، ليكونوا من تلك الزّمرة النّاجية، وذلك كقول الأستاذ لتلاميذه: هذا السّؤال صعبٌ إلّا على الأذكياء، هنا يتنافس الطّلبة لإثبات أنّهم من تلك الفئة التي يحبّها المعلّم ليفوزوا برضاه، ولله تعالى المثل الأعلى، وقد وفّق محمد رشيد رضا إلى وصف ذلك بقوله: "إلّا على المخبتين المتطامنة قلوبهم وجوارحهم لله تعالى؛ فهؤلاء هم الذين يستفيدون بالصلاة والصبر وكل الخلائق الحسنة، لما تعطيه الصّلاة من مراقبة الله تعالى، فمن خواصّ الصّلاة الصّبر ونفي الجزع، والنّهي عن الفحشاء والمنكر، ومن خواصّها الجود والسّخاء، فالمصلّي الحقيقيّ هو البارّ الحقيقيّ الّذي لا يترك الحقّ لأجل شهوة، أو خوفٍ من الخلق وخشية"(رضا،١٩٩٠م،١/٢٥٠). وفيما قاله رضا بيان لأثر الصّلاة الصّحيحة في العبد العابد الخاشع وما تحدثه من تربية شاملة لجوارحه وجوانحه.

تراكيب جاء فيها اسم إنّ ضميرًا متّصلًا وخبرها جملة:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ... (٥٤)﴾

التركيب النّحوي: حرف ناسخ للتوكيد(إنَّ) + اسم إنَّ (الضمير في "إنكم") + الجملة الفعلية(ظلمتم) خبر إنّ. جاء التّركيب النّحوي (إنّكم ظلمتم أنفسكم) في سياق حوار موسى مع قومه بعد أن رجع من ميقات ربّه فوجدهم قد عبدوا العجل من دون الله، وقد أنتج هذا التّركيب النّحويّ الدّلالات الآتية:

١- تأكيد ضلالهم الّذي أضرّ بهم:

أفاد دخول (إنّ) النّاسخة على ما بعدها التّوكيد على عظم ذنبهم، الّذي أضرّ بهم، وأغضب عليهم خالقهم، وأوصلهم إلى (الظلم) أي: الكفر؛ لتقيّده (باتخاذ) العجل (ابن عرفة، ٢٠٠٨م،١/١١٤) ولقد أكّد موسى عليه السلام بـ "إنّ" الدّالة على التوكيد، أنّهم حين اتخذوا

العجل ظلموا أنفسهم (أبو زهرة، زهرة التفاسير،١/١٣٤). وظلم النّفس: تدسيتها بسيّئة الجريمة(الجزائري،٢٠٠٣م،١/٥٦). فهو قد أثبت لهم ونسب إليهم الظلم المستفاد من الخبر- ظلمتم- بصورة مؤكدة لا تقبل الشّكّ.

٢- تأكيد تنزيه الله عزّ وجلّ من أن يناله أيّ سوء منهم:

أفاد دخول (إنّ) النّاسخة على ما بعدها التوكيد على تنزيه الله عزّ وجلّ عن أن يناله شيء من ظلمهم، وإنّما ضرر ذلك راجع إليهم، وهذا يشبه المحدود، فإنّه لا تنفع فيه الشّفاعة، ولا تسقطه التّوبة (ابن عرفة، ٢٠٠٨م،١/١١٤). إنّهم لم يظلموا الله تعالى، بل ظلموا أنفسهم؛ لأنهم أوردوها مورد التهلكة دون أن يعود ذلك عليهم بفائدة(الشعراوي،١/٣٤٢،١٩٩٧).

ودلّ مجيء خبر إنّ -ظلمتم- فعلًا ماضيًا دلَّ على تحقق ثبوت ذلك الظلم الواقع منهم بعبادة العجل، لأنّ الفعل الماضي يدلّ على تحقّق وقوع الفعل.

تراكيب جاء فيها اسم إنّ ضميرًا متصلًا وخبرها شبه جملة:

١-إنَّ:

﴿...وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾

التركيب النّحوي: (إنَّ) حرف ناسخ للتوكيد + اسم إنَّ الضّمير المتّصل (نا) في محل نصب + خبر إنَّ الظّرف المضاف (معكم) شبه جملة.

جاء التركيب النّحويّ (إنّا معكم) في سياق الحديث عن أهل الكفر وكذبهم، فهم إذا حدّثوا المؤمنين قالوا آمنّا، وإذا خَلَوا بِشياطينهم أثبتوا ولاءهم لهم وانتماءهم إليهم. وقد أنتج هذا التّركيب الدّلالات الآتية:

١- إقرارهم بالكفر على أنفسهم:

أفاد دخول إنّ النّاسخة على (نحن معكم) تأكيدهم على إقرارهم بالكفر ومعاداة الّذين آمنوا، فهم حين عادوا إلى شياطينهم وكبرائهم "قالوا لهم:"إنا معكم"، أي إنا معكم على دينكم، وظهراؤكم على من خالفكم فيه، وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"(الطّبريّ،٢٠٠٠م،١/٢٩٦) فأكّدوا على أنفسهم موافقة كبرائهم على ما هم عليه من التكذيب والعداوة(الماوردي، النّكت والعيون،١/٧٧) وقالوا لأصحابهم من المنافقين والمشركين، إنّا على دينكم.(البغوي،١٤٠٧هـ-١/٨٩) فلمّا دخلت (إنّ) الناسخة أكّدت اعترافهم بكفرهم، وإقرارهم بمخالفة الّذين آمنوا، فإذا انصرفوا إلى شياطينهم، (قالوا إنا معكم) مؤكّدين أنّهم لم يخرجوا عنهم بذلك الكلام الذي زوّروه للمؤمنين ليخدعوهم.(أبو زهرة، زهرة التّفاسير،١/١٣٥)

٢- فضحُ الله لهم ولكفرهم:

أفاد توكيد الجملة (نحن معكم) بـ (إنّ)، التوكيد على كفرهم ومما لأتهم الشّياطين، فقد أخبر الله عن المنافقين أنّهم إذا خَلَوا إلى مردتهم قالوا إنّا معكم على دينكم في تكذيب محمّد صلّى الله عليه وسلم وما جاء به. (ابن كثير،١٤١٩هـ)

وإنّما أكّدوا معيّتهم للكافرين "لأنّه لما بدا من إبداعهم في النّفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شكّ كبرائهم في البقاء على الكفر وتطرق به التهمة أبواب قلوبهم احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم" (ابن عاشور،١٩٨٤م،٢٩١/١) وقد أكّدوا قولهم ذلك لأمرين: إمّا لكون (ذلك محبوبا لهم)، فبالغوا فيه كما يبالغ الإنسان في مدح ما هو محبوب له، وإما تقريرًا لمعذرتهم لأنّهم أظهروا الإسلام (فخشوا أن) يَتوهّم فيهم أصحابهم أنّهم مسلمون، فبالغوا في تمهيد العذر لنيّتهم. (ابن عرفة،٢٠٠٨م)

٣- إقرارهم بالثبات على الكفر:

أفاد التّركيب النّحويّ (إنّا معكم) دلالة ثباتهم على كفرهم، ذلك أنّهم لمّا عبّروا بالجملة الاسميّة (قالوا إنا معكم) معبرين بالاسميّة الدّالة على الثبات مؤكّدين لها(البقاعي،١٩٨٤م). فهم خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية (آمنّا)، وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية المؤكَّدة بـ(إنّ) لأنهم قصدوا بالأولى إدّعاء إحداث الإيمان، وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه من الكفر(البيضاويّ،١٤١٨هـ) وقد أرادوا بقولهم (إنّا معكم) أي في الدّين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الأحوال، ومدَّعاهم تحقيق الثّبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين (أبو السّعود، إرشاد العقل السليم).

٢-أنَّ:

﴿... وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... (٦١)﴾

التركيب النّحوي: حرف جرّ (الباء)+ حرف ناسخ للتوكيد (أنّ) + اسم أنّ (هاء الغائب في "إنهم") + خبر أنَّ الجملة الاسمية المنسوخة (كانوا يكفرون).

جاء التّركيب النّحويّ (بأنّهم كانوا يكفرون) في سياق الحديث عمّا أنزل الله من عقوبة لبني إسرائيل: الذّلّة والمسكنة والغضب؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، وهذا الكفر كانَ علّة لما تقدم ذكره من العقوبة. وقد أنتج هذا التّركيب النّحويّ الدّلالة الآتية:

- **التوكيد على استمرارهم في كفرهم :**

أفاد دخول (أنّ) الناسخة توكيد كفر بني إسرائيل ومعصيتهم وعدوانهم، لأنَّ (أنَّ) المفتوحة تفيدُ معنى التّأكيد كـ(إنَّ) المكسورة (ابن يعيش،٢٠٠١م، ٥٢٦/٤)، كما أفاد الإخبار بـ (كانوا يكفرون) دلالة استمرار كفرهم وبيانه، "فإن "كانوا" دالة على الاستمرار، والتعبير بالمضارع للدلالة على تكرر الكفر بتكرار الآيات، فما جاءتهم آية إلا كفروا بها،

فاجتمع فيهم كفر الإيمان بالكفر بدلائله، وكفر النّعمة بعدم شكرها". (ابن يعيش،٢٠٠١م، ٥٢٦/٤)

٣- لكنّ:

- ﴿...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا(102)...﴾

التركيب النّحوي: حرف ناسخ للاستدراك (لكنّ) + اسم لكنّ (الشياطين) + الجملة الفعلية خبر لكنّ (كفروا).

الدّلالة:

جاء التّركيب النّحوي في سياق الاستدراك على بني إسرائيل الذين زعموا كفر سليمان عليه السّلام، والله سبحانه وتعالى رد عليهم أوهامهم التي سجلوها في التوراة على أنّها من عند الله، وما هي من عند الله، وأنّ شياطينهم الذين قالوا ذلك هم الذين كفروا بادّعائهم الكفر والسحر على سليمان. وافترائهم عليه، والتمويه على الناس به، وقد نتج عن دخول (لكن) النّاسخة على جملة (الشياطين كفروا) الدلالة الآتية:

- **توكيد كفر الشّياطين، ورفع توهم كفر سليمان:**

أفادت (لكن) الناسخة بعد النفي معنى الاستدراك؛ (ابن السّرّاج، الأصول في النّحو،٥٧/٢) لرفع ما يتوهّم من كفر سليمان عليه السلام، حين عقّب على (وما كفر سليمان) بـ(ولكنّ الشياطين كفروا)، وقد فسّر ابن النّاظم الاستدراك بأنّه "تعقيب الكلام برفع ما يتوهم عدم ثبوته أو نفيه... فلما أردت رفع هذا الإيهام عقبت الكلام بـ(لكن) مع مصحوبها"(ابن النّاظم،٢٠٠٠م،١١٦).

وقيل: "هو أن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها"، (ابن هشام، ١٩٨٥م، ٣٨٣) ولابدَّ أن يتقدّمها كلام ملفوظ به أو مقدّر، يناقض ما بعده (السّيوطيّ،١٩٧٤م، ٤٨٥/١) وقد تقدّم (لكن) في الآية الكريمة نفي كفر سليمان، وجاء ما بعدها حكم يخالف ما قبلها، أثبت كفر الشّياطين، من شياطين الإنس والجنّ الّذين أضلّوا النّاس وأفسدوهم.

- وفيما سبق من الدلالة تأكيد براءة سليمان عليه السلام[1] التي طعن فيها اليهود حين اتّهموه بالسحر، ونفوا عنه النبوّة وكانوا يسبّونه حتّى برّأته هذه الآيات، وذلك من قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ...﴾ (الحج: ٣٨).

[1] جاء في تفسير ابن كثير أنّه لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعدّه فيمن عد من المرسلين، قال مَن كان بالمدينة من اليهود: ألا تعجبون من محمد؟ يزعم أن ابن داود كان نبياً والله ما كان إلا ساحراً، وأنزل الله: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾.(ابن كثير،٢٣٤/١)

٤- لعلّ:

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾

التركيب النّحوي: حرف ناسخ للترجي (لعلّ)+ اسم لعل (ضمير الخطاب في "لعلكم") + خبر لعلّ الجملة الفعلية (تتقون).

جاء التركيب النحويّ (لعلّكم تتّقون) في ختام الآية التي أمر الله تعالى فيها النّاس جميعا بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، و إفراد الربوبية له دون سواه. لأنه جل ذكره خالقهم وخالق من قبلهم، وخالق أصنامهم وآلهتهم، وهو وحده القادر على ضرّكم أو نفعكم(الطّبريّ،٢٠٠٠م،٣٦٢/١) فهو الأولى بالطّاعة، لعلّكم تنجون من العذاب، ورجاء التقوى بأن تَصيروا في ستر من عذاب الله و وقاية. (البغويّ،١٤٠٧هـ،٩٣/١) وقد أنتج هذا التّركيب النّحويّ الدّلالات الآتية:

١- تعليل أمر الله لهم بإخلاص العبادة:

الأصل في (لعلّ) أنّها تفيد التّرجّي في ذاتها، لكنّها إذا وقعت في كلام الله تعالى خرجت عن معنى التّرجّي تنزيهًا لله تعالى، ذلك أنّ الرّجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وإذا وقعت في كلام الله تعالى يكون معناها التحقيق، وفي الآية وقعت موقع المجاز لا الحقيقة (الزمخشريّ،١٤٠٧هـ،٩٢/١)؛ إذ لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأنَّ الرّجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، والله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول والشهوات، وأزاح العلّة في أقدارهم وهداهم النجدين، ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى(الزمخشريّ، ١٤٠٧هـ،٩٢/١).

٢- تحقيق التّقوى:

وقيل إنّ (لعلّ) في القرآن الكريم تستعمل للإعداد والتهيئة للشّيء، فحيث وقعت (لعلّ) في القرآن فالمراد بها هذا المعنى وهو يستلزم التحقيق؛ لأنّ الإعداد بما تأتي (لعلّ) بعده أمر محقّق لا ريبة فيه، فإنّ العبادة الحقّة تطبع في النفس ملكة خشية الله وتعظيمه ومراقبته، وتعلي همّة العابد، فتزكو نفسه وتنفر من المعاصي، وتألف الطاعات، وتلك هي التقوى، وجعل الله فيهم هذا الاستعداد، الذي لولاه لما اتّقاه منهم أحد(رضا، ١٩٩٠م،١٥٦/١).

- والجدير بالذكر أنّ النحاة والمفسرين تباينت أقوالهم في معنى (لعلّ) في القرآن الكريم، فقد قال سيبويه: إنَّ معنى (لعلَّ) في القرآن الكريم هو الترجِّي أو الإشفاق باعتبار حال المخاطبين، فهما متعلقان بهم؛ لأنَّ الأصل ألاَّ تخرج الكلمةُ عن معناها بالكلية، فـ(لعلَّ) منه تعالى حملٌ لنا على أن نترجى أو نشفقَ، وحَثٌّ لنا على ذلك"، فالتوقع والترجي في كلام الله سبحانه كما يرى سيبويه وبعض النحاة –كالمبرد وابن الشجري– إنّما يرجع إلى المخاطبين.(سيبويه:١٩٨٨، ١/ ١٦٧)

- بينما يرى العزّ بن عبد السلام أنّ "لعلّ وعسى كلاهما مجاز تشبيه أو تسبيب في كل صفة لا يليق بالربّ الاتصاف بحقيقتها".(العز بن عبد السلام،٢٠١٦، ٢٥).
- وقد حكى البغوي في تفسيره عن الواقدي: أن جميع ما في القرآن من (لعل) فإنها للتعليل واستثنى قوله تعالى: ﴿لعلكم تخلدون﴾ مستندا لما ذكره البخاري في صحيحه. في حين ذُكِرَ أنها للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم. (السيوطي،١٩٧٤، ١/ ١٧٢)، (أبو حيّان،١٤٢٠هـ، ٧/ ٣٢).

وممّا سبق أجدني أميل إلى الرأي الأوّل القائل بتنزيه الله عزّ وجل عن التّرجي وخروج معناها إلى التّحقيق، فلو كانت كما رأى سيبويه بإرجاعها للمخاطبين، فكيف نؤوّل قوله تعالى: (لعلّكم ترحمون) أو (لعلّكم تتّقون)، ولو ذهبنا إلى القول بأنها مجاز فكيف تؤوّل قوله تعالى: (وما يدريك لعلّ السّاعة تكون قريبًا)، بينما لو جعلناها بمعنى التحقيق لاستقام المعنى وأضحى لائقا بذي الجلال والإكرام، والله تعالى أعلى وأعلم.

٥- كأنّ:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ...نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(101) ﴾

التركيب النّحوي: (كان) فعل ناسخ+ اسم كان (الضّمير في كأنهم) + خبر كان الجملة الفعلية (لا يؤمنون).

أخبر الله تعالى عن أولئك الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم –من علماء اليهود– ونقضوا ما عاهدوا الله تعالى عليه، وجحدوا الحقّ الذي قرأوه في التّوراة على علم منهم به، لكنهم أفسدوا هذا العلم بكتمانه، وتحريفه(الطّبريّ،٢٠٠٠م،٢/٤٠٤) وقد أنتج التركيب المكوّن من (كأنّ ومعموليها) الدلالات الآتية:

١- التنبيه إلى جحودهم وعنادهم:

أفاد دخول (كأنّ) على (هم لا يعلمون) دلالة التّنبيه إلى جحودهم نعمة الله وإصرارهم على تجاهل ما أَنزل الله في كتابهم من الحق، بل نبذوه وتجاهلوه، كأنّهم لم يعلموا من الحقّ شيئًا، وقد أنكر القرآن الكريم فعلهم الشّنيع هذا وكأنّهم لا يعلمون الحقّ، ولم يعرفوه. وقد ذكر السيوطيّ أنّ الكوفيّين أجازوا مجيء (كأن) في التنبيه و الإنكار والتعجب، فتقول: فعلتُ كذا وكذا كأنّي لا أعلم، وفعلتم كذا كأن الله لا يعلم ما تفعلون (السّيوطيّ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،١/٤٨٦) وفي ذلك دلالة على أنهم نبذوه عن علم وإصرار، لأنّ هذا التركيب لا يُقال إلّا فيمن يعلم، فكان التركيبُ دليلا "على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته إلا أنّهم تجاهلوه عنادًا ومكابرة وجحودا(البيضاوي،١٤١٨هـ،١/٩٧).

ويرى النّحاة أنّ جملة ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ جاءت في محل نصب على الحال، العامل فيها (نبذ)، على تقدير (مشبهين للجهال). ومتعلق العلم محذوف تقديره: أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك، فالمراد هو العلم بأنه كتاب الله، وفي ذلك إشعار بأنّهم متيقنون في ذلك، أي إنّهم كفروا عنادا ومكابرة وصدًّا عن سبيل الله (السمين الحلبي، الدّر المصون،٢/٢٧) (أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم،١/١٣٦).

٢- بيان المراد بمن أوتي الكتاب:

أفادت (كأنّ) في دخولها على (هم لا يعلمون) بيان أنّ المقصود بهذه الفئة، هم الّذين درسوا الكتاب وعلموا ما فيه، ففي (كأنّ) بيان سبق علمهم بأنه كتاب الله (ابن عادل،١٩٩٨م)، ذلك أنّ من مقاصد (كأنّ) التّحقيق، فالمراد أنّهم حتمًا يعلمون، والّذين يعلمون هم أولئك الذين درسوا الكتاب، وفهموا ما فيه من الحقّ والبشارة بالنّبيّ الخاتم.

٣- التّشبيه:

يفيد دخول (كأنّ) على ما بعدها (لا يعلمون) التشبيه، وقوله: كأنهم لا يعلمون تشبيه لهم بمن لا يعلم شيئا، مع كونهم يعلمون يقينا من التوراة بوجوب الإيمان بهذا النبي، ولكنهم لما لم يعملوا بالعلم، بل عملوا عمل من لا يعلم فكانوا بمنزلة الجاهل على علمهم.(الشّوكاني،١٤١٤هـ) وقوله (كأنّهم لا يعلمون) جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم مشبَّهين بمن لا يعلمه، فإن أريد بهم أحبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإيقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ففيه إيذان بأن علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله أو لا يعلمونه أصلا.(أبو السّعود، إرشاد العقل السليم،١/١٣٦) وفي ذلك وسم لهم بالجهل وتشبيه لهم بالجاهلين على الرّغم ممّا حازوه من العلم.

٤- وجوب تبليغ العلم وعدم كتمه:

أفادت (كأنّ) مع معموليها التّقريع لأولئك الذين علموا التّوراة لكنّهم لم يعملوا بها، "وأنّهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم، أي أن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم أفسدوا علمهم، و جحدوا وكفروا وكتموا"(الطبريّ،٢٠٠٠م،٢/٤٠٤). وكان الأولى بهم أن يبلّغوه كما أنزل، لا أن يكتموه، وهذا تحذير غير مباشر لأولئك الذين يكتمون ما علّمهم الله بغية تضليل النّاس وإبعادهم عن الحقّ.

٦- لا النافية للجنس:

﴿قالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا... (٣٢)﴾

التركيب النّحوي: أداة نفي تعمل عمل إنّ (لا) النّافية للجنس+ اسم لا (علمَ)+ خبر (لا) محذوف تقديره موجود+ جار ومجرور متعلّق بالخبر المحذوف(لنا).

جاء التركيب النحويّ (لا علمَ لنا) في سياق الحوار بين الله عزّ وجلّ وملائكته، لمّا تعجّبوا من خلق الله تعالى لآدم عليه السلام ليستخلفه في الأرض، فقال تعالى لهم: (إنّي أعلم ما لا تعلمون)، ثم أخضع الملائكة لاختبار ظهر فيه عجزهم، فأقرّوا به، وأقرّوا لله بالعلم، مظهرين الافتقار إليه تعالى. وقد نتج عن التّركيب النحويّ الدّلالات الآتية:

١- الأدب مع الله تعالى:

أفاد دخول (لا)النافية للجنس على (علم لنا) نفي أن يكون شيء من جنس العلم فحين يقول:(لا علمَ لنا) فهو ينفي مطلق العلم عن الملائكة في هذا الكتاب، وذلك أنّ لا النافية للجنس جواب لـ (هل من) فقولك:(لا علمَ)، جواب في التقدير لـ(هل مِن علمٍ؟) (السّامرائي، ٢٠٠٠م) فالملائكة تنفي مطلق العلم عن نفسها ما لم يعلّمها الله عزّ وجلّ، أدبا منها مع العليم الحكيم، و إقرارا له بمطلق العلم والمشيئة.

٢- تأكيد أنّ العلم منحة من الله وحده:

تفيد (لا) النّافية للجنس تأكيد النّفي، كما تفيد (إنّ) تأكيد الإثبات (الأزهريّ،٢٠٠٠م).وعليه فقد دلّ نفي الملائكة العلم عن أنفسهم باستثناء ما أذن الله لهم أن يعلموه، تأكيدهم على أنّ العلم ما هو إلّا منحة إلهيّة يؤتيها الله تعالى من يشاء من خلقه، ومن لم يشأ الله له أن يعلم، فلا معلّم له ولا علم، ذلك أنّ من دلالات (لا) النافية للجنس التبرئة دون غيرها من أحرف النّفي، وحق "لا" التبرئة أن تصدق على "لا" النافية كائنة ما كانت؛ لأن كلّ من برأته فقد نفيت عنه شيئا، ولكنهم خصوها بالعاملة عمل "إن" فإن التبرئة فيها أمكن منها في غيرها، لعمومها بالتنصيص، لذلك تبرّأت الملائكة من أيّ علم أن تناله دون إذن من الله عزّ وجلّ.

فدلّ كلامهم على أن محدوديّة علومهم، وعدم قابليّتها للزّيادة، لاقتصارها على ما ألهمهم الله إيّاه من العلم، أو أمرهم به من الأمر، فيقبلونه طاعة منهم، دون علم باستنباط المعاني (ابن عاشور،١٩٨٤م).

٣- إظهار الافتقار إلى الله عزّ وجلّ:

أفاد نفي الملائكة العلم عن نفسها باستعمال (لا) النافية للجنس، وإسناد العلم والتّعليم إلى الله عزّ وجلّ وحده، إظهار افتقارها إلى الله تعالى وتذللها بين يديه، "ففي قولهم:(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعتراف بالعجز والقصور، وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم

يكن اعتراضا، وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه، وإظهار لشكر نعمته، ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه"(البيضاويّ،١٤١٨هـ،٦٩/١) قال صاحب البحر: "ألا ترى أن الملائكة لما قالوا: ونحن نسبح بحمدك، كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا: لا علم لنا؟" (أبو حيّان الأندلسي،١٤٢٠هـ،٢٣٨/١).

٤- تسليم وإنابة إلى الله:

حمل النّفي المطلق باستخدام(لا) النافية للجنس دلالة الإذعان والتّسليم من الملائكة لله عزّ وجلّ، وقد "أخبر الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئا إلا ما علمه تعالى ذكره"(الطّبري،٢٠٠٠م،٤٩٣/١) ذلك أنّهم أجابوا بنفي العلم عن أنفسهم باستخدام (لا)النافية للجنس واسمها النكرة المبني (علمَ) فاستغرقَ هذا النّفي كلّ أنواعِ العلوم، ثمّ إنّهم استثنوا ما علّمهم الله إيّاه، وفي ذلك غاية الاستسلام والإنابة لله عزّ وجلّ.(أبو حيّان الأندلسي،١٤٢٠هـ)

الخاتمة والنتائج

كانت تراكيب الجملة الاسميّة المنسوخة الواردة في الجزء الأوّل من القرآن الكريم مادة لهذه الدراسة التي اعتمدت في منهجها الاستقرائي التحليلي على تحليل التركيب النحوي وبيان أثره في المعنى والدلالة الناتجة عن أثر الوظائف النحوية للجملة الاسميّة المنسوخة. وقد تناولت الدراسة المستوى النحوي من خلال ما احتوت عليه هذه الآيات الكريمة من تراكيب نحوية تدل على إعجاز القرآن وبلاغته وسحر بيانه. وكان أبرز ما توصّلت إليه الدراسة مجموعة من النتائج أهمّها:

- يمثّل التّركيب النّحويّ مادّة غنيّة لدراسة الدّلالة.
- دراسة دلالات التراكيب النّحوية تثري التّفاسير، وتفتح آفاقًا جديدة لقراءةٍ جديدة في معاني النحو، واتّساع الدّلالة.
- تعدّد الدّلالات وتنوّعها أدّى إلى اختلاف آراء النحويين وتعدّدها.
- تتعدّد تقسيمات الجملة بحسب وظيفتها وبحسب تناول النّحاة لها.
- ترتبط دلالة الجملة الاسمية المنسوخة بدلالة الناسخ فعلا كان أو اسما، وحالات اسمه وخبره وأنواعهما.
- تقصّي الدّلالات الناتجة عن التركيب النحوي للجمل المنسوخة لا ينحصر في معاني النّحو فحسب، وإنّما يتعدّاها إلى دلالات علميّة أو تربويّة أو اجتماعيّة.
- كلّ لفظ في القرآن الكريم إنّما جاء في موضعه الأمثل ليؤدّي معانيَ ودلالات لم يكن ليؤدّيها في غير موضعه.

- دراسة أثر التوجيه النحوي في دلالة الجمل المنسوخة في الجزء الأول من القرآن الكريم، تفتح عالما للطّلبة العلم لمتابعة الدّراسة في سائر أجزائه الشريفة.

هذا ما وفقنا الله إليه سائلين الله عزّ وجلّ أن يعلّمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علّمنا ويزيدنا من لدنه علمًا وفضلًا وحكمة.

المراجع والمصادر:

١. الأزهري، خالد (٢٠٠٠). شرح التصريح على التوضيح (ط.١)، دار الكتب العلمية.
٢. الآلوسي، محمود بن عبد الله(١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(ط١). تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية.
٣. البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٢٠هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن (ط.١)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي.
٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر (١٩٨٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي.
٥. البيضاوي، عبد الله بن عمر(١٤١٨هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ط.١)، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي.
٦. الجزائري، أبو بكر (٢٠٠٣). أيسر التفاسير للجزائري (ط.٤). مكتبة العلوم والحكم.
٧. ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان (٢٠١٠). الكافية في علم النّحو (ط.١). تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر. مكتبة الآداب.
٨. الحرالي، أبو الحسن المراكشيّ (١٩٩٧). تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير (ط.١). تحقيق: محمادي الخياطي. منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.
٩. الحسيني، محمد صديق (١٩٩٢). فتح البيان في مقاصد القرآن. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر.
١٠. حقّي، إسماعيل(دون). روح البيان. دار الفكر.
١١. أبو حيّان، محمد بن يوسف(١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر.
١٢. الرازي، محمد بن عمر(١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب (ط.٣). دار إحياء التراث العربي.
١٣. رضا، محمد (١٩٩٠). تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٤. الزمخشري، محمود بن عمرو(١٤٠٧هـ). الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط.٣). دار الكتاب العربي.
١٥. أبو زهرة، محمد(دون). زهرة التفسير. دار الفكر العربي.
١٦. زيدان، عبد الجبار فتحي، ٢٠٢٠، (دلالة (كاد–يكاد) في القرآن الكريم، بحث إلكتروني، https://archive.org/details/usqa4/mode/2up،٢٨)
١٧. السّامرائي، فاضل (٢٠٠٢). التّعبير القرآني (ط.٢). دار عمّار.
١٨. السّامرائي، فاضل (٢٠٠٢). معاني النّحو (ط.١). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٩. السعود، محمد(دون). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي.
٢٠. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف(دون). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم.
٢١. سيبويه، عمرو بن عثمان (١٩٨٨). الكتاب (ط.٣)، تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي.

٢٢. السيوطي، جلال الدين (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. السيوطي، جلال الدين(١٩٧٥). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.
٢٤. الشعراوي، محمد (١٩٩٧). تفسير الشعراوي/الخواطر. مطابع أخبار اليوم.
٢٥. الشوكاني، محمد بن علي(١٤١٤هـ). فتح القدير (ط.١)، دار ابن كثير. دار الكلم الطّيب.
٢٦. الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن (ط.١). تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة.
٢٧. الطلاق، يحيى خليل (٢٠٠٦). النواسخُ وأثرها التركيبي والدلالي–دراسةٌ في كتابِ إملاءِ ما منَّ بهِ الرحمن في ضوءِ المنهجِ التحويلي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة.
٢٨. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
٢٩. عاشور، المنصف (١٩٩١م)، بنية الجملة بين التحليل والنظرية، ط١، تونس، جامعة تونس.
٣٠. ابن عرفة، محمّد بن محمّد (٢٠٠٨). تفسير ابن عرفة (ط.١). تحقيق: جلال الدين السّيوطيّ. دار الكتب العلميّة.
٣١. العز بن عبد السلام، ٢٠١٦، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المكتبة العلميّة.
٣٢. ابن عطيّة، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ط.١). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية.
٣٣. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (١٩٨٠). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. دار التراث.
٣٤. ابن فارس، أحمد (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة (ط.١). تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر.
٣٥. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٢٠٠٥). القاموس المحيط (ط.٨). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٦. القرطبي، محمد بن أحمد (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (ط.٢). تحقيق: أحمد البردوني وآخر. دار الكتب المصرية.
٣٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٤١٩هـ). تفسير القرآن العظيم (ط.١). تح: محمد حسين. دار الكتب العلمية.
٣٨. الكفوي: أبو البقاء(دون) كتاب الكليّات، تحقيق: عدنان درويش وآخر. مؤسسة الرسالة.
٣٩. ابن مالك، محمد بن عبد الله(دون). ألفية ابن مالك. دار التعاون.
٤٠. الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد(دون). النّكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود. دار الكتب العلمية.
٤١. المطعني، عبد العظيم إبراهيم (١٩٩٢). خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ط.١). مكتبة وهبة.
٤٢. مقاتل، أبو الحسن بن سليمان(١٤٢٣هـ). تفسير مقاتل بن سليمان (ط.١). تحقيق: عبد الله محمود، دار إحياء التراث.
٤٣. ابن منظور، محمد بن مكرم(١٤١٤هـ). لسان العرب (ط.٣). دار صادر.

٤٤. ابن الناظم، محمد بن مالك (٢٠٠٠). شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (ط.١)، تحقيق: محمد باسل. دار الكتب العلمية.
٤٥. النورسي، بديع الزمان سعيد (٢٠٠٢). إشارات الإعجاز. تحقيق: إحسان قاسم. شركة سوزلر للنشر.
٤٦. الهرري، محمد (٢٠٠١). تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ط.١). دار طوق النجاة.
٤٧. ابن هشام، عبد الله بن يوسف (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب(ط٦). تحقيق: مازن المبارك وآخر، دار الفكر.
٤٨. ابن هشام، الأنصاري، أبو محمد، عبدالله، جمال الدين بن يوسف بن أحمد (١٩٨٠م). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط٦، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
٤٩. الهلالي، هادي (١٩٨٦). الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين (ط.١). عالم الكتب.
٥٠. ابن يعيش، يعيش بن علي (٢٠٠١). شرح المفصل للزمخشري (ط.١). دار الكتب العلمية.